تاريخ علم نفس النمو

يتسم علم النفس الارتقائي بماضيه الطويل وتاريخه القصير كانت هناك كتابات الفلاسفة ومفكرين مثل جون لوك John Locke الإنجليزي الأصل الذي أكد أهمية الخبرة والتعلم كمحدد أساس ي للنمو.

يصف لوك عملية الارتقاء بأنها عملية مرنة تعتمد في المقام الأول على التعلم ، وبالتالي فإن كل ما يصدر عن الراشد من تصرفات وكل ما يتسم به من خصائص ما هو إلا نتاج الخبرة . وبما أن الخبرات التي يكونها الفرد تعتمد على الطريقة التي يتفاعل بهما الطفل مع الوالدين، فإن نوعية الارتقاء وخصائصه تعتمد في مجموعها على الأسرة التي ينشأ فيها الطفل وعلى المجتمع الذي ينتمى إليه ، وعلى العكس فإن الفيلسوف الفرنس ي جان جاك روسو Rousseau Join Jacquesيرى أن عملية الارتقاء في المقام الأول هي عملية طبيعية لا تعتمد على التأثير المباشر للوالدين بقدر ما تعتمد على الخصائص الوراثية التي يرثها الطفل من والديه. ومن الطريف أن الخلاف بين وجهى نظر جون لوك وروسو لا تزال قائمة حتى الآن بين النظريات الجديدة في علم النفس الارتقائي.

وفي القرن التاسع عشر ظهر شارلز دارون Charles Darwin الذي قدم نظريته المعروفة في النشوء والارتقاء، ويمثل شارلز دارون حلقة وصل بين فلاسفة القرن السابع والثامن عشر، وبين المنظرين في علم النفس الارتقائي في القرن العشرين، وعلى الرغم من أن كتابات دارون عن الأطفال ساهم في نشأة وبزوغ علم النفس الارتقائي، غير أن إسهامه الحقيقي يبرز في تقديمه النظرية النشوء والارتقاء ، إذ تفترض هذه النظرية أن جميع الكائنات الحية - بما فيها الإنسان - نشأت من أشكال أدن منها، ومن ثم يرى دارون أن ارتقاء الطفل يتم من خلال مراحل يلخص كل منها تأثير 1977 ,النشوء الاجتماعي والفيزيقي للكائن الإنساني.

ويرتبط التاريخ الحقيقي لظهور علم النفس الارتقائي باسم جون ستانلى هو ل ، الذي يطلق عليه اسم والد علم نفس الطفل. بدأ هول دراسته في ألمانيا، وبعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية نشر تقريراً عام 1843 عنوانه مضامين عقول الأطفال The Contents of children Mind) ويتميز هذا التقرير بأنه أول دراسة منظمة يتم إجراؤها على عدد كبير من الأطفال. وقد وضع هول هذا التقرير قواعد الاستخبار كمنهج من مناهج البحث : وكذلك وضع هول البذرة الأولى القيا الذكاء، ودفع بحركة علم نفس الطفل إلى الأمام في الولايات المتحدة الأمريكية.

علم نفس النمو في القرن العشرين: اكتسب الفريد بينيه شهرته في علم النفس باعتبار أنه أول من قدم اختبارا للذكاء . فى عام 1905 طلب الحكومة الفرنسية من بينيه أن يقدم وسيلة موضوعية للكشف عن الأطفال المتأخرين عقلياً في المدار ، وذلك لتقديم طرق التعليم الملائمة لهم . فاستجاب بينيه لطلب الحكومة ، وقام بالاشتراك مع زميله سيمون Simmon في تقديم أول اختبار الذكاء الأطفال . وعلى الرغم من أن كثيراً من أسئلة هذا الاختبار جاءت مشابهة للأسئلة التي ضمنها استخبار جون ستانلي هول ، غير أن وسائلهم في تقديم أسئلة الاختبار ككل كانت منهجية وجديدة ، حيث تميزت أسئلة المقياس بأنها صادقة وثابتة . كما كان الأسئلة مختارة من عينة كبيرة من البنود التي يمكن من خلالها التنبؤ

بمستوى النجاح والفشل، وبالإضافة إلى ذلك قدم "**بينيه**" ولأول مرة في علم النفس مفهوماً جديداً لقيا الذكاء وهو مفهوم العمر العقلي mental age، والذي يعرف بأنه مجموع الأسئلة التي يستطيع أن يجيب عليها الأطفال في عمر معين.

ارنولد جيزل: يعتبر أو ل من أسس عيادة نفسيه للأطفال واهتم هو ومعاونوه بدراسة ارتقاء الأطفال الأسوياء لمده تقارب نصف قرن واهتم في البداية بدراسة النمو الحركي عند الأطفال الرضع ثم اهتم بدراسة النمو الانفعالي

وا لاجتماعي عند الأطفال ومن أهم إسهاماته تقديم جداول الارتقاء التي يمكن من خلالها معرفه في أي عمر يستطيع الطفل تأدية بعض المهارات مثل المشي الجري الجلو الوقوف القفز التسلق .

وكان جيزل بمثابة حلقه وصل بين علماء النفس اللذين اهتموا بالجانب التطبيقي الذي يصف السلوك وصفا علميا وبين علماء اللذين اهتموا بالنظرية كأسا س لتفسير السلوك وهناك نوعان من النظريات كان لهما تأثير كبير في تطور علم نفس النمو خلال هذه الفترة .

النوع الأول: تمثله نظريات التعلم التي تعتبر امتدادا للنظرية السلوكية عند واطسون حيث ترى هذه النظريات أن نمو سلوك الطفل ينتج من خلالا الارتباطات والتبعات التي تحدث بين المنبهات المحيطة بالطفل وما يصدر منه كسلوك ومن ثم فان النمو السيكولوجي يعرف بأنه كل تغير تدريجي يحدث من خلال تفاعل الكائن الحي مع بيئته

أما النوع الثاني :فتمثله النظريات النظريات العضوية التي تنظر للنمو من خلال تفاعل الطفل مع عوامل النضج والوراثة واستندت الدراسات التي أجراها العلماء على الحيوانات والتي كان تهتم بدراسة المحددات البيولوجية للسلوك حيث اجريت العديد من التجارب والدراسات على الحيوانات والهدف من ذلك الكشف عن الأسس الوراثية ومختلف العوامل التي تحدد سلوك الطفل فيما بعد.

وهناك نظريات تحمل الموقع الوسط بين النظريات المعرفية والعضوية ....مثلا نظريه بياجيه الذي يرى بدوره أن نمو الطفل ما هو إلا نتيجة لعوامل النضج البيولوجي من جهة ومختلف الخبرات الاجتماعية والثقافية التي يتعرض لها الطفل من جهة أخر ى .

أما في النصف الثاني من القرن فساهمت عوامل أخر ى في تطور علم النفس بشكل عام وعلم نفس النمو بشكل خاص والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1 – ساعدت الحرب العالمية الثانية العلماء على الخروج من معاملهم والاهتمام بدراسة العمليات العقلية الداخلية التي يعتمد عليها الإنسان في مواقف القتال فبدؤوا ينظرون للإنسان على انه ناقل للمعلومات ومتخذ للقرارات فلابد من بذل أقصى الجهود لكي يعمل بدرجة عالية من الكفاءة .
2–ظهور نظرية معالجة المعلومات جعلهم يستخدمونها لوصف عمليات التفكير لدى الإنسان ليتمكنوا من التنبؤ بالعمليات المعرفية للإنسان.

3– لظهور علم الكمبيوتر والتوسع في استخدام النظم الآلية والتفاعل مع الرموز اثر كبير في تحويل اهتمام علماء النفس بدراسة نظام العقل الإنساني باعتباره نظاما آليا تتشابه فيه العمليات المنطقية الرياضية التي يقوم بها الإنسان مع البرامج المستخدمة في الكمبيوتر

بالإضافة إلى ذلك ساعدت نظرية معالجة المعلومات الباحثين لتوجيه انتباههم في علم نفس النمو لإجراء البحوث على الأطفال الرضع بعد أن كان مهملة من قبل فمن من المعتقدات الفلسفية التي سادت طويلا معتقد أن الطفل يولد صفحة بيضاء وعقله خال تماما من أي شيء وارتقاء المعرفة لديه لا تحدث إلا من خلال تفاعل الطفل مع بيئته وقد أبدت النظرية السلوكية ونظريات التعلم في علم النفس الحديث هذه الوجهة ومع تقدم العلوم وظهور نظرية معالجة المعلومات أدرك الباحثون في علم النفس الارتقائي أن عملية التقدم في النمو تكون صعبة الحدوث إن لم نقل مستحيلة دون وجود بناء سابق يولد به الطفل ويساعد على ظهور مثل هذه العمليات ومن ثم فان قيا العملية الأولية التي تكون عليها العمليات المعرفية لدى الطفل الرضيع قبل تفاعله مع أي مؤثرات خارجية في البيئة أصبح موضوعا لكثير من البحوث الحديثة في علم نفس النمو.